

## المخطوط العربي... رحلة العجائب والغرائب

إبداع... وإمتاع

إعداد : محمد شريط

لا أحد يرتاب في استفحال ظاهرة الغبن الفاحش ووجع التهميش الذي ناء بكلكله على صدر المكتبة العربية ؛ ولا سيّما المخطوط منها حيث أضى جُلّه يتهدى بين أرضة الإهمال ومنطق الجهل، وما بقي من قُلّه لم يحظ إلا بنزر يسير من الوفاء والتقدير ممن يحدهم شغف العلم وعبق التاريخ في أكناف دور ومراكز المخطوط العربي ولعل الوليد الجديد - مخبر جمع ودراسة وتحقيق المخطوط بجامعة زيّان عاشور بهذه الربوع الكريمة - يرنو - بثلاثيته ؛ الجمع والدراسة والتحقيق - إلى إضفاء هالة من التعلق فالتأنق فالتألق بين الأمس الزاهر والحاضر الخامر إلى الغد الباهر. بإذن الله.

وما ملتقاهُ هذا إلا عربون محبة ووفاء لهذا الطموح .. هذا الملتقى الذي تعنوره رمزية الزمان والمكان ؛ فالزمان شهر أبريل شهر العلم، ويوم الثالث والعشرين منه يوم الكتاب العالمي، أما المكان فتحضنه هذه الهضاب المضياقة "الجلفة"، والجلفة - يا سادة - اسمها من مكونات ومكونات المخطوط العربي، فقد قال علماء الخط العربي إن (الجلفة ما بين مبرى القلم إلى سنه)<sup>(١)</sup>، وقد وصف الشيخ الخطاط محمد بن حسن السنجاري قلم الخط وكيفية قَطّه فقال:

طوّل لها الجلّفة بالسّكين وشقّها في الوسط بالتمكين

واجعل لها شحيمة لطيفة من بطن قشر ولتكن خفيفة

وإن تكن قشرتها سميّة فاسلّب لها الشحمة بالسّكين<sup>(٢)</sup>

مداخلتي هاته رحلة في عمق الماضي تستنشق منه عبير الأصالة والإبداع، هي رحلة إلى الغد -كما يعبر توفيق الحكيم - في تجلياته المبتكرة والحديثة، لبناء الراهن وكسب الرهان .  
تنتبذ هذه الرحلة ثلاثة مسارات :

**المسار الأول :** في التعريف بمعنى المخطوط العربي ومعنى العجائب والغرائب

**المسار الثاني :** في ذكر ثلاثية العجائب والغرائب ؛ صنعة ومضمونا وخطا

(١) أحمد شوقي بنين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية الرباط المغرب، ط٣، ص ١١٧

(٢) أحمد شوحان، رحلة الخط العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص ٧٠

**المسار الثالث :** في خاتمة الرحلة بما ترومه من توصيات ومقترحات .  
والله أسأل أن يكتب للقائمين على هذا الملتنقى الكريم فخر الدنيا وذخر الآخرة..  
**المسار الأول :** في التعريف بمعنى المخطوط العربي ومعنى العجائب والغرائب  
في مفهوم المخطوط العربي يمكن أن يقال :

#### ١ . معنى المخطوط العربي :

المخطوط ؛ مأخوذ من لفظة خط يخط بمعنى كتب، فالمخطوط ما كتب بخط اليد<sup>(٣)</sup>، أو هو في مقابل المطبوع<sup>(٤)</sup> .

والمخطوط يتنوع ليشمل عدة أنواع منها<sup>(٥)</sup>:

أ- مخطوط أصلي ( النسخة الأصلية)

ب-مخطوط جامعي(يتناول إحدى المواد الأربع التي كانت تدرس في الجامعات الأوروبية الأولى وهي : اللاهوت والقانون والفلك والفنون الحرة)

ت-مخطوط فريد(لا توجد منه نسخة أخرى)

ث-مخطوط مصور ( الذي أخذ بالصورة)

ج- مخطوط نادر ( لا توجد منه إلا بعض النسخ، أو يتميز بصوره وزخارفه الجميلة ككتاب كليله ودمنة)

ح- مخطوط قيم (يحتوي على مواد هامة أو كتب على مادة مهمة)

فالمخطوط العربي هو المنسوخ بالحرف العربي، وقد حاول بعض الباحثات قصر مفهومه على ما خُطَّ باللغة العربية وحدّها دون لغات الأمم الإسلامية الأخرى، والصحيح أن مفهوم المخطوط العربي يمتد ليشمل كل ما كتب في ظل الحضارة الإسلامية وإن بلغات أخرى<sup>(٦)</sup> .

إذن فالمخطوط العربي هو كل ما خط باليد بالحرف العربي من كتب أو وثائق أو رسائل أو عهود أو موثائق أو نحوها، سواء كان ذلك بخط المؤلف أو الناسخ أو غيرهما، وسواء كانت النسخة الأولى أو ما نقل منها.

#### ٢ . معنى العجائب والغرائب :

قال القزويني في مقدمة كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ؛ العجب حيرة تعرض للإنسان لقصوره عن معرفة سبب الشيء، أو عن معرفة كيفية تأثيره فيه ...والغريب كل أمر عجيب قليل الوقوع مخالف للعادات المعهودة والمشاهدات المألوفة<sup>(٧)</sup> .

(٣) أحمد شوقي بنين ومصطفى طوبي، مرجع سابق، ص ٣١٩

(٤) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر ط٤، ٢٠٠٤ ص

(٥) أحمد شوقي بنين ومصطفى طوبي، مرجع سابق، ص ٣٢٠ وما بعدها

(٦) محمود زكي، نحو علم مخطوطات عربي ، موقع الألوكة على الشبكة

(٧) محمد خير رمضان يوسف، عجائب الفكر وذخائر العبر، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ٢٠٠٠، ص ١٠٠-٩

وعلى ذلك فإن المخطوط العربي أعجوبة من عجائب الدهر وغريبة من غرائب الزمان التي تتفوق على عجائب وغرائب الدنيا على حد وصف الشيخ علي الطنطاوي الذي قال : (عجائب العالم القديم سبع: أهرام مصر، وحدائق بابل، وبقيّة السبع التي تعرفونها. وهي عجائب حقًا، ولكنها هياكل شيدت من حجارة قطعت من صخور الجبل أو آجر جبل من تراب الأرض ونضج على جمر الأفران، وهذه العجيبة الثامنة أثر من عمل الأذهان. تلك تحف من عمل السواعد القوية والأيدي الصنّاع، وهذه من عمل الفكر الخالص والقرائح العبقريّة... إنها كتبٌ لو جمعت لبني منها هرم صغير أو لشيد برج هائل.

فهل يقاس أثر لا روح فيه بآثار حية تبعث الأرواح في الأجساد، وتثير السواكن من الأفكار، وتحرك القرائح فتدفعها إلى الابتكار؟<sup>(٣)</sup>.

### المسار الثاني : ثلاثية العجائب والغرائب

المتأمل في تراث العرب من هذه المخطوطات الهائلة لتعروه الدهشة والحيرة من عدد هذه المؤلفات وكيف كتبها أصحابها وروعة الخط الذي كتبوا ودقة ومهارة الصنعة في أدوات وآلات الحرفة، وهو ما نقف على بعضه في هذه النقاط :

#### أولاً : أعجوبة الصنعة

والناظر في مادة المخطوطات وما كتب عليها وما كتب به، ليعجب من مهارة أولئك الصنّاع الذين قد يغفل عنهم الذكر في غمرة الحديث عن جهود العلماء المؤلّفين، وهؤلاء كانوا يسمون وراقًا بالمفهوم الأشمل لكلمة الوراقّة على اختيار ابن خلدون<sup>(٤)</sup>، وقد كانوا يمدحون حرفتهم تارة ويذمونّها أخرى تبعاً للمؤثرات الزمانية والمكانية، فممن امتدح الوراقّة أبو علي بن شهاب العكبري (ت ٤٢٨هـ) فقد حدث عيسى بن أحمد الهمداني قال: قال لي أبو علي، ابن شهاب (العكبري) يوماً: أرني خطك فقد ذكر لي أنك سريع الكتابة فنظر فيه فلم يرضه ثم قال لي: كسبت في الوراقّة خمسة وعشرين ألف درهم راضية، وكنت أشتري كاغداً بخمسة دراهم فأكتب فيه ديوان المتنبي في ثلاث ليال وأبيضه بمائتي درهم وأقله بمائة وخمسين درهماً، وكذلك كتب الأدب كانت مطلوبة. قال الأزهري: أخذ السلطان من تركة ابن شهاب ما قدره ألف دينار سوى ما خلفه من الكروم والعقار. أما من ذمها فقد رأى أنها مهنة متعبة ومرهقة ولا طائل من ورائها، كما وصفها الشاعر أبو محمد عبدالله محمد البكري الأندلسي عندما قال:

أَمَّا الْوِرَاقَةُ فَهِيَ أَنْكَدُ حِرْفَةٍ      أَوْ رَاقَهَا وَثِمَارُهَا الْحَرَمَانُ  
شَبَّهْتُ صَاحِبَهَا بِصَاحِبِ إِبْرَةِ      تَكْسُو الْعُرَاةَ وَجِسْمُهَا عَرِيَانُ

<sup>(٣)</sup> محمد علي الطنطاوي، فصول في الثقافة والأدب، دار المنارة، السعودية، ط١، ٢٠٠٧، ص ٨٩ وما بعدها

<sup>(٤)</sup> محمد المنوني، تاريخ الوراقّة المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، ص ١١

أو كما قال أحد الوراقين وقدسأله أحمد بن عبد الله بن حبيب المعروف بأبي هفان عن حاله فقال: عيشي أضيق من محبرة، وجسمي أدق من مسطرة، وجاهي أرق من الزجاج، ووجهي عند الناس أشد سوادا من الحبر بالزجاج، وحظي أخفى من شق القلم، ويدي أضعف من قسبة، وطعامي أمر من العفص، وشرابي أحر من الحبر، وسوء الحال ألزم لي من الصمغ؛ فقلت له: عبرت عن بلاء ببلاء<sup>(٥)</sup>. أي أنه عبر عن محنته بأدوات مهنته ..

وعلى الرغم من هذه الأخبار التي تناقلتها كتب التاريخ عن الوراقة مدحا أو قدحا فقد كانت هذه الصناعة الشعلة المضيئة التي أنارت الطريق أمام العلماء في مختلف فنون المعرفة؛ مما أدى إلى قيام نهضة علمية واسعة لم يشهد لها التاريخ مثيلا من قبل.

وقد اهتم العرب بهذه الحرفة الجليلة فكتبوا في كل ما يتعلق بها وتطرقوا لآلاتها وأدواتها ومسمياتها ومرادفات كالبلاطة والمِلْزَم والسكين والسيف والبيكار والأقلام والليق والمداد والحبر والأصباغ والرقوق والأوراق والجلود وغيرها<sup>(١)</sup>.

ومما كتب في هذا الصدد كتاب عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب للمعز بن باديس الصنهاجي (ت ٤٥٤ هـ) وكتاب التيسير في صنعة التفسير لبكر الإشبيلي (ت ٦٢٨ هـ)، وكتاب صناعة تفسير الكتب وحل الذهب لأحمد السفياني (ت ١٠٢٩ هـ)، وكيفية تفسير الكتب لعبد العزيز الرسموكي (ت ١٠٦٥ هـ)، و«تدبير السفير في صنعة التفسير» لابن أبي حميدة، وغيرها.

وقد أصبح يهتم بهذه الأشياء كلها ما يسمى بعلم الكوديكولوجيا، وكلمة كوديكولوجي<sup>(٢)</sup> تتكون من كلمة يونانية Logos وتعني علم وكلمة لاتينية تسمى كودكس codex وتعني كتاب ومصطلح كوديكولوجي يعني: "علم دراسة كل أثر لا يرتبط بالنص الأساسي للكتاب الذي كتبه المؤلف بل يهتم بدراسة الورق والحبر والتذهيب والتجليد والتزيين وحجم الكراسات والترقيم والتعقيبات وكل ما دون على صفحة الغلاف من سماعات وقراءات وإجازات ومناولات ومقابلات ومعارضات ومطالعات ونقييدات ووقفيات وما يسمى حرد المتن وهو ما يسمى خوارج النص أي دراسة الشكل المادي للمخطوط، وأيضا الظروف التاريخية التي كتب فيه هذا المخطوط"

وقد بدأ هذا العلم يطبق على دراسة المخطوطات العربية عام ١٩٨٦ ولكنه طُبِّق قبل ذلك على المخطوطات اليونانية واللاتينية. فهو علم جديد يهتم بشكل وصناعة المخطوط.

وهذا العلم يشمل عناصر عدة منها:

١- حوامل الكتاب: مثل البردي والرق والورق أو الكاغد حيث بدأت صناعة البردي في مصر وقد استخدمه المسلمون على شكل كراسات وقد ظهر في العصر العباسي، ثم ظهر وسيط آخر للكتاب

(٥) عابد سليمان المشوخي، أخلاقيات الوراقة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ٢، ٢٠٠٣، ص ٤٣٠

(١) المعز بن باديس التميمي الصنهاجي، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق نجيب مایل الهروي وعصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط ١، ١٤٠٩،

(٢) خالد عبد السلام المزاحي، كوديكولوجيا المخطوط العربي الإسلامي، موقع المدونة الرسمية لقسم المكتبات والمعلومات - جامعة الإسكندرية

يسمي الرق وهو عبارة عن جلد الخراف او الماعز الصغيرة واحياناً البقر الصغير السن وصانع الرق يسمى الرقاق، وقد استخدم الرق في بداية عصر صدر الإسلام في كتابة المصاحف، وقد كتبت بالخط الحجازي، ثم بدأ استخدام الرق في الكتابة وكان يسمى الأديم اي الجلد الأبيض ثم بدأ يختفي تدريجياً نتيجة ظهور الورق الذي انتقل من الصين الى العرب .

٢- أدوات الكتابة : القلم وكان يصنع من البوص والخيزران والخشب والحديد .

٣- الأمدّة : وهي الحبر فالحبر الكربوني يسمى المداد، اما الحبر يسمى بالحبر المعدني اي الحديدي وهناك الأمدّة الملونة مثل الأخضر والأحمر والأصفر والأزرق والأمدّة التي كتبت بالذهب او الفضة على بعض المخطوطات وتركيباتها فالحبر الأصفر كان يصنع من الزرنخ

٤- حرْدُ المَتْنِ : وهو نهاية الفراغ من المخطوط على شكل مثلث مقلوب فبعد ان ينتهي الناسخ من الكتابة لابد من أن يكتب " كان الفراغ من هذا الكتاب....." ويبدأ بكتابه العنوان واسم الناسخ - وذلك في تواضع العلماء، كان يقول: تم على يد الفقير فلان - ومكان النسخ والتاريخ الهجري باليوم والشهر والسنة واحيانا كان يكتب اسماء الشهور او اسماء النعوت ربيع الأول ينعت بالشريف او يكتب العَشر الأول او العَشر الوسطى .....وما إلى ذلك .

٥- التجليد : وهو وضع المَلَازِم بين دفتين او غلافين ؛والغلاف في المخطوط العربي كان يصنع من الخشب المثقب من الجانبين والمربوط بليف النخل ؛ وقد عرف العرب هذه الطريقة من الأحباش ثم استُبدل الخشب بأوراق قديمة ملتصقة ببعضها البعض لتكون في النهاية الكرتون بالاسم الحالي وكان هذا الورق يصنع من أوراق قديمة مكتوب عليها كمسودة او مخطوط مهمل أو أوراق فارغة من الكتابه، وكان يغلف الكرتون بالجلد او الرق -ولكنها حالات نادرة جداً - أو بالورق او القماش؛ وكانت البطانة الداخلية تصنع من الورق او الحرير او الجلد وفي مراحل متقدمة كان يجلد بالجلد والورق الأبرو من الداخل والخارج .ويقال إن أول من قام بهذه المهنة هو أبو الحريش الذي عمل في خزانة بيت الحكمة في بغداد في عهد المأمون .كما أن العرب استخدموا زخارف بديعة مزينة باللؤلؤ والياقوت الأحمر، ويوجد في متحف استانبول مجموعه مصاحف جلدت بأحجار كريمة ويقدر عددها بحوالي ١٣٠ ألف مخطوط مجلد بالذهب والفضة .

واستطاع المجلّد العربي ان يبتكر قوالب جديدة من النحاس او الحديد وبها اشكال نباتية او هندسية ويضعها على الجلد بطريقة بارزة غائرة بالطرق عليها او بواسطة مكبس او بالتسخين لحين الحصول على الشكل المطلوب كالصورة او الدلاية او خطوط متقابلة عليها نقوش بديعة الجمال كدوائر متناهي الصغر، والصرة كانت في شكل بيضاوي او دائري والأشكال الهندسية، كانت تظهر بكثرة في المغرب العربي ؛وقد تعلم العرب هذه الحرفه من الأقباط ولكنهم أبدعوا في هذه الحرفة.

وقد نال تجليد الكتب في الحضارة الإسلامية بعدا شرعيا راقيا بحيث يحظر أن يبطن جلود الكتب بأوراق فيها قرآن أو حديث أو اسم من أسماء الملائكة أو اسم من أسماء الأنبياء...<sup>(٣)</sup>، بل ويمنع حتى في نوعية الجلود فإنه يمنع الجلود المحرمة كأن يكون الجلد جلد إنسان، على عكس ما ورد في بعض الأدبيات الغربية<sup>(٤)</sup> إذ نشرت مجلة فرنسية سنة ١٨٨٢ أنه في مكتبة ورسد تقويم مكسيكي مكتوب على جلد إنسان، ويوجد في أمريكا كتابان أحدهما مجلد بجلد امرأة زنجية والآخر بجلد فتاة صينية ! . ومن غريب ما روي أن أحد الفلكيين كان مرة يجالس إحدى النساء الجميلات فكان في جملة محادثته لها أن ذكر لها إعجابه بنقاء بشرتها وقد توفيت المرأة بعد مدة قصيرة فأوصت له بجلد كتفها فأعطى الجلد لبعض حذاق الدباغين فدبغه ثم جلد به أحد مؤلفاته وكتب على أحد لوحى الكتاب بأحرف ذهبية (تذكار ميتة).

### ثانيا : أعجوبة المضمون

(أشرف ما في المخطوط، هو مادته ومضمونه، وما يَحْتَوِيهِ من فِكْر ومعرفة، هي خلاصة حضارة الأمة، وسجل عقائدها وشرائعها وأخلاقها، ومخزون تجاربها ومنجزاتها)<sup>(١)</sup> .

وتمثل إبداع علمائنا السابقين على كل المستويات ؛ على مستوى الكمّ أو على مستوى الكيف .

١ - **فعلى مستوى الكمّ ؛** تتقل لنا أخبار التاريخ عن أعداد هائلة من الكتب التي ألفها علمائنا وحسبكم أن الوزير الفارسي عبد القاسم إسماعيل (ت ٩٩٥هـ) كانت له مكتبة ضخمة مؤلفة من مائة وسبعة عشر ألف مجلد ( ١١٧٠٠٠ ) يصطحبها معه على ظهر أربعمئة جمل ( ٤٠٠ )، أينما حلّ وارتحل، وكانت جماله هاته مدربة على أن تمشي في نظام معين بحيث تكون الكتب عليها مصفوفة بالترتيب الأبجدي<sup>(٢)</sup> .

وعلى الرغم مما تعرض له هذا التراث العظيم من التحريق والتخريق والتمزيق فإن ( الإسبان لما دخلوا الأندلس أحرقوا مكتباتها، حتى صار ليلها نهاراً مما صعد منها من اللهب، وحسبكم أن تعلموا أن واحدة من مكتبات قرطبة كانت فهارس دواوين الشعر فيها - كما يقول ابن خلدون - أربعة وأربعين دفترًا كبيراً. فهارس دواوين الشعر فقط! أحرقها الإسبان فأضاعت ليالي الأندلس..<sup>(٣)</sup>

على الرغم من هذا كله فإن المصادر تشير إلى أنه يوجد في مكتبات العالم أكثر من خمسة ملايين مخطوط عربي، بينما المخطوطات اليونانية عددها حوالي خمسمائة ألف واللاتينية حوالي خمسين ألف، وبعد ظهور الطباعة في القرن الخامس عشر لم يتم إنتاج أو كتابه مخطوطات بينما

<sup>(٣)</sup> محمد خير رمضان يوسف، نواذر الشوارد، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ١٩٩٩، ص ١٧

<sup>(٤)</sup> محمد خير رمضان يوسف، سفينة الذهب من الثقافة والأدب، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ٢٠٠٦، ص ٨-٩

<sup>(١)</sup> محمود زكي، نحو علم مخطوطات عربي، موقع الألوكة على الشبكة الالكترونية.

<sup>(٢)</sup> زهير علوان، قصص عجيبة ومفارقات غريبة، دار الفكر، لبنان، ص ٦٦

<sup>(٣)</sup> محمد علي الطنطاوي، فصول في الثقافة والأدب، دار المنارة، السعودية، ط١، ٢٠٠٧، ص ٨٩

استمر المخطوط العربي حتى القرن التاسع عشر الميلادي، نشر منها خلال القرنين الماضيين زهاء مائتي ألف مخطوط فقط .

كما أنه لا تكاد تخلو بقعة من البسيطة اليوم إلا وللمخطوط العربي فيها بصمة، ففي تركيا مائتي ألف مخطوط ويقال ستمائة ألف مخطوط، وفي إيران حوالي مائتي ألف مخطوط، وفي مصر قرابة المائة ألف مخطوط أو يزيد، وفي المغرب حوالي ثلاثين ألف مخطوط، وفي سوريا تضم مكتبة الأسد حوالي اثني عشر ألف مخطوط، وفي السعودية حوالي عشرة آلاف مخطوط<sup>(٤)</sup>، وفي الجزائر تضم المكتبة الوطنية أكثر من أربعة آلاف مخطوط ، بالإضافة إلى كثير من المخطوطات المتناثرة هنا وهناك في الزوايا والمساجد والمكتبات الخاصة<sup>(٥)</sup> .

٢- أما على مستوى الكيف ؛ فقد أبدعت الحضارة العربية إذ أثرت المكتبة الإنسانية بتراث مدون في شتى ميادين العلم والمعرفة مما كان له الأثر البالغ في تقدم العالم ونهضته، وفي خضم النخمة المعلوماتية التي وصل إليها المسلمون بدأوا يتأنقون ويتقنون فيما يكتبون، فهذه مخطوطة لابن الدريهم (ت ٧٦٢هـ) علي بن محمد بن عبد العزيز بن فتوح بن إبراهيم بن أبي بكر، المعروف بابن الدريهم الموصلية كشف عنها الدكتور محمد حسان الطيان، والدريهم لقب لجده الأعلى، وهو مصغر درهم، لقب به لقوله مرة (دريهم) فلزمه ذلك. وهو صاحب رسالة "مفتاح الكنوز في إيضاح المرموز" في علم التعمية وكسر شيفرة رموز المخطوطات، كما أشار إلى ذلك القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، وقال عنه الصفدي: "كان أعجوبة من أعاجيب الزمان في ذكائه"، مخطوطه يشتمل على قصيدة نادرة في مدح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بناها بناء غريباً لا نظير له في أدبنا العربي إذ جعل لكل بيت فيها ثلاثين قافية استوفى فيها حروف العربية التسعة والعشرين وأضاف إليها قافية اللام ألف لتكتمل عدة الثلاثين، ولما كانت عدة أبياتها ثلاثين بيتاً فقد بلغ مجموع القوافي تسعمئة قافية أحسن الناظم اختيارها بدقة بالغة لتناسب المعنى والمبنى أو السياق والوزن في كل بيت من الأبيات، ثم عرض لشرح غريب ألفاظها.

ويتضح من ذلك أنه يمكنك أن تقول إنها قصيدة همزية، ولك أن تقول إنها بائية وتائية، وثائية، وجيمية، إلى أن تستوفي حروف العربية.

ومما جاء في هذه القصيدة :

إذا لم أزر قبر النبي محمد====وأسعى على رأسي فإني.....  
مرجأ / أعتب / مُعَنَّتْ / أحنثُ / محرَجُ / مُترَح / مُوبَّخ /.../ مفرط / مسوف / أحمقُ / مغفلُ  
نبي له فضل على كل مرسل====وآياته في الكون تتلى.....

(٤) عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياء، دار المريخ، السعودية، ١٩٩٩، ص ١٢

(٥) مركز الأبحاث للدراسات، المخطوطات الجزائرية كنوز بلا حراس، موقع الأصالة

وَتَتَشَأُ / فَتَطْرَبُ / وَتُتَعَتُ / وَتُبْعَثُ / فَتُبْهَجُ / وَتُشْرَحُ / وَتُتَسَخُّ /.../ وَتَبْسُطُ / وَتَرْصَفُ /  
وَتَتَسَّقُ / وَتَتَقَلُّ

ومن قافية اللام ألف يقول:

رقى في السماوات العلى فتشرفت====به ودنا من قاب قوسين إذ علا  
بدا نوره كالصبح ثم علا به====فأشرقت الأرجاء والحق قد ملا  
ويعترف ابن الدريهم أن قوافيه ليست مما يعتاد أو يؤلف أو يحفظ أو يستخدم:  
إليك رسول الله مدح مقصر====حوى من قوافي الشعر ما ليس.....  
يُوطَأُ / يَدْرَبُ / يُنْسَجُ / يُحْصَرُ / يُحْرَزُ / يُضْبَطُ / يُحْفَظُ / يُسْهَلُ / يُنْظَمُ  
ويقول في آخرها :

فيا رب كن لابن الدريهم راحما====إذا عرضت أوزاره يوم.....  
يُنْشَأُ / أَخْرَاهُ / يَرْهَبُ / يُرْفَتُ / يُبْعَثُ / يَخْرُجُ / تَصْفَحُ / يُنْفَخُ / تُسْعَدُ / تُنْقَذُ / يُنْشَرُ / يَبْرُزُ /  
يُرْمَسُ / يُنْبَشُ / يَشْخَصُ / يُعْرَضُ / يُسْخَطُ / يُوقِظُ / يُرْجَعُ / يَنْشَغُ / يُكْشَفُ / يَفْرَقُ / يَهْلِكُ / يُسَأَلُ /  
ترحم / تَوَزَنُ / لَا رَوَى / يُنْبَهُ / يُبْتَلَى / لَا رِي<sup>(١)</sup>

### ثالثا : أعجوبة الخط

للخط العربي ومنذ عهد بعيد، سحره وجماله وجاذبيته وألقه، يستوقف الناظر ويثير الدهشة والإعجاب، ولقد أعطى العرب الخط الجميل مكانة خاصة، لأن الخط كما يقول عبدالله بن عباس لسان اليد، فهو مظهر من مظاهر العبقرية الفنية العربية، التي ارتبطت برهافة الحس وحسن الذوق وقوة الحق كما يقول علي بن أبي طالب : "الخط الجميل يزيد الحق وضوحا" .  
لذلك نجد كثيرا من المخطوطات تأخذ بمجامع القلوب فلا تشبع العين من النظر إليها، ولا يدرك هذه الجاذبية إلا من رقى طبعه وشف حسه واختلط بالمخطوطات لحمه وعظمه، أما من كان غليظ الطبع وكثيف الروح :

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الوجود شيئا جميلا  
وقد كان أول من تحدث عن جمالية الخط العربي أبو حيان التوحيدي (ت ٤١٤هـ) في رسالته "علم الكتاب" إذ وضع سبعة معان يحتاج إليها الخط الجميل فقال<sup>(٢)</sup>:  
والكاتب يحتاج إلى سبعة معان : الخط المجرد بالتحقيق، والمحلّى بالتحديق، والمجمل بالتحويق، والمزين بالتحريق، والمحسن بالتحقيق، والمجاد بالتحديق، والمميز بالتحريق .

(١) محمد حسان الطيان، ابن الدريهم وجهوده في علم التعمية، موقع الألوكة .

(٢) عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، ص ١٠٢ وما بعدها



أما المجرد بالتحقيق فإبانة الحروف كلها، منثورها ومنظومها، مفصلها وموصلها، بمداتها وقصراتها، وتقريجاتها وتعويجاتها، حتى نراها كأنها تبتسم من ثغور مفلجة، أو تضحك عن رياض مدبجة .

وأما المراد بالتحديق إقامة الحاء والحاء والجيم وما أشبهها على تبويض أوساطها، محفوظة عليها من تحتها وفوقها وأطرافها، أكانت مخلوطة بغيرها أو بارزة عنها حتى تكون كالأحداق المفتحة .

وأما المراد بالتحويق فإدارة الواوات والفاءات والقافات وما أشبهها مصدره وموسطة ومذنبه يكسبها حلاوة ويزيدها طلاوة .

أما المراد بالتخريق فتفتيح وجوه الهاء والعين والغين وما أشبهها، كيفما وقعت أفراداً وأزواجاً، بما يدل الحس الضعيف على اتصاحها وانفتاحها .

أما المراد بالتعريق فإبراز النون والياء وما أشبهها، مما يقع في إعجاز الكلمة مثل، عن، وفي، ومتى، وإلى، وعلى، بما يكون كالمنسوج على منوال واحد

أما المراد بالتشقيق فتكثف الصاد والضاد والكاف والطاء، وما أشبه ذلك مما يحفظ عليها التناسب والتساوي . فإن الشكل يصح ومعها يحلو، والخط في الجملة كما قيل : هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية .

أما المراد بالتنسيق، فتعميم الحروف كلها، مفصولها وموصلها بالتصفية، وحياطتها من التفاوت في التأدية، ونفض العناية عليها بالتسوية .

أما المراد بالتوفيق، فحفظ الاستقامة في السطور من أوائلها وأواسطها وأواخرها وأسافلها وأعاليتها بما يفيدها وفقاً لا خلافاً.

أما المراد بالتدقيق، فتحديد أذنان الحروف بإرسال اليد، واعتماد سن القلم، وإدارته مرة بصدرة، ومرة بسنية، ومرة بالاتكاء، ومرة بالارتقاء، بما يضيف إليهما بهجة ونوراً ورونقاً وشذوراً.

أما المراد بالتفريق، فحفظ الحروف مزاحمة بعضها لبعض، وملامسة أول منها الآخر يكون كل حرف منها مفارقاً لصاحبها بالبدن، جامعاً بالشكل الأحسن .

ويختتم أبو حيان شروط الخط الجميل، بشرط أساس جامع فيقول : فهذه جملة كافية متى كان طبع الكاتب مؤاتياً، وفعله مواطناً، وقريحته عذبة، وطينته وطنة .

هذا وقد زين الخط العربي ببعض الفنون الجميلة كالزخرفة والترصيع والتذهيب والتصوير، فنال المصحف الشريف عبر التاريخ اهتمام الخطاطين بزخرفته زخرفة نباتية وهندسية، كما هو ملاحظ على المصاحف المغربية التي تتعد فيها الألوان فتبهج النفس وتسر الناظرين، ثم تذهيبه بماء الذهب الصافي والفضة السائلة المعينة، كما عرفت بعض المصاحف الشريفة، الخزائنية منها على وجه الخصوص، لوحات في غاية التألق والتفنن، غالباً ما تأتي في مستهل الكتاب و آخره، إلى جانب

تذهيب كلمات خاصة، كاسم الجلالة، في حين نرى بعضها، أثر نسخ القرآن الكريم جميعه، بالفضة السائلة تارة أو بماء الذهب أخرى، و يبقى هذا الأخير الغالب عليها.

و كذلك زين بالتصوير، فأشهر مخطوط عربي في هذا المجال هو كتاب كليله و دمنة حيث نجد صوراً لحيوانات مختلفة، ونجد هذا أيضاً في كتاب دلائل الخيرات، الذي نال من التصوير أوفر نصيب، ومن عيون المكتبة الوطنية بالرباط كتاب ذخيرة المحتاج في الصلاة على صاحب اللواء والتاج لمحمد المعطي الشرقي، وفيه صور تمثل سدره المنتهى، وقلم القدرة النوراني، واللوح المحفوظ الرباني، وصور للجنان<sup>(١)</sup>

على أنه ينبغي التنويه بفضل أولئك المبدعين من الخطاطين الذين صيروا من الحروف العربية لوحة فنية تتكلم من خلال رشاقة الخط، وتتأسق سطورهم، ومدّاته وحركاته يقف المشاهد أمامها مبهوراً

ومن هؤلاء العباقرة :<sup>(٢)</sup>

## ٢ - الخطاطون

اشتهر من الرجال الكثير لأنه الخلفية الثقافية آنذاك في غالبها كانت ترى أن الخط فخر للرجال، كم قال ابن مقلة وقد كان يأكل يوماً، فلما غسل يده وجد نقطة صفراء من حلو على ثوبه، ففتح الدواة، فاستمد منها وطمسها بالقلم، وقال : ذاك عيب، وهذا أثر صناعة، وأنشد يقول :  
إنما الزعفران عطر العذارى ومداد الدواة عطر الرجال  
ومن أشهر هؤلاء الخطاطين على الإطلاق :  
أ - ابن مقلة :

أبو علي محمد بن علي بن الحسن بن مقلة، شيخ الخطاطين ومهندس صناعتهم، وهو كذلك وزيرٌ وأديبٌ وشاعرٌ مبدعٌ، وناثرٌ بليغٌ.

عُرف هذا الوزير بابن مقلة لأن له أمّ كان أبوها يلاعبها في صغرها ويقول لها " يا مقلة أبيها " فغلب عليها هذا الاسم واشتهرت به، فاتصل هذا الاسم المشهور بابن مقلة الذي كان ضمن سلالتها معروفٌ به، فكان بذلك مقلة الزمان وملك الخط والبيان !  
ولد سنة اثنتين وسبعين ومائتين للهجرة ببغداد، في أسرة عملت في الخط زمناً طويلاً، فكان جده خطاطاً، وأما أبوه فقد كان الذي علمه الصناعة، وكذلك كان أستاذه إسحاق بن إبراهيم الأحول صاحب كتاب " تحفة الوامق " وتتلذذ على يد ثعلب وابن دريد.

وكان من إنجازات هذا الوزير أنه أول<sup>(٣)</sup> من هندس حروف الخط العربي، ووضع لها القوانين والقواعد، وإليه تنسب بداية الطريقة البغدادية في الخط، وأول من كتب مصنفاً في الخط العربي ذكر

<sup>(١)</sup> عبد الستار حلوجي، محطات في تاريخ المخطوط ونشأته، دورة المخطوط الوعاء والصناعة، موقع مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث

<sup>(٢)</sup> أحمد شوحان، مرجع سابق، ص ٨٣ وما بعدها

فيها مصطلحات هذا العلم البديع، مثل مصطلحات " حسن التشكيل " وهي التوفية، والإتمام، والإكمال، والإشباع، والإرسال، ومصطلحات " حسن الوضع " وهي : الترصيف، والتأليف، والتسطير، والتتصيل.

كما أنه وضع قواعد دقيقة في ابتداءات الحروف وانتهاءاتها، وفي علل المدّات، وأنواع الأحبار، وفي أصناف بري القلم، يقول إدوارد روبرتسن " إن ابن مقلة قد اخترع طريقة جديدة للقياس عن طريق النقط، وجعل الريشة وحدة للقياس، فقد جعل من حرف الألف الكوفي مستقيماً بعد أن كان منحنيّاً من الرأس نحو اليمين كالصنارة، وقد اتخذه مرجعاً لقياساته، وخطا ابن مقلة خطوة أخرى، إذ هدّب الحروف، وأخذ الخط الكوفي كقاعدة، وأخرج من هذه الحروف اشكالاً هندسية، وبذلك أمكنه قياس هذه الحروف " .

تقلد الوزارة ثلاث مرات، لثلاثة خلفاء عباسيين هم المقتدر بالله والقاهر بالله والراضي بالله، فقد وُشي به فقطع الراضي بالله يده اليمنى، وقيل أنها أُلقيت في دجلة ! وكان ييكي على يده ويقول " قد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء، وكتبت بها القرآن دفعتين، تُقطع كما تُقطع أيدي اللصوص " .

فكان يكتب بيده اليسرى، وقيل كان يشد القلم على ساعده اليمنى وهو مقطوع اليد !، وكتب أبياتاً فريدة في معناها العميق، مملوءة بحزن سرّي عجيب، مرسومة بحروف تساقطت منها صيحات الألم والدموع على اليد التي أبدعت أيّما إبداع فقال :

ما سئمتُ الحياة لكن توتّفـتُ  
تُ بأيمانهم فبانت يميني

بعثُ ديني لهم بدنياي حتى  
حرموني دنياهم بعد ديني

ولقد حُطتُ ما استطعتُ بجهدِي  
حفظَ أرواحهم فما حفظوني

ليس بعدَ اليمين لذة عيشٍ  
يا حياتي بانت يميني فبيني

فُقطّع لسانه وحبس ! فكان يستسقى الماء من البئر، ويجذب الرشاء بيده جذبة وبفيه جذبة أخرى، وبقي في الحبس إلى أن مات سنة ٣٢٨ من الهجرة النبوية الشريفة، فدُفن في دار السلطان ثم حُمِل فدُفن في داره ثم أُخرج فدُفن في مكان آخر !

(٢) انتقد هذا عبد السلام هارون في كتابه تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨، ص

يقول الثعالبي: (من عجائبه أنه تقلد الوزارة ثلاث دفعات، لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمره ثلاث سفرات، اثنتان في النفي إلى شیراز والثالثة إلى الموصل، ودفن بعد موته ثلاثة مرات، في ثلاثة مواضع، وكان له ثلاثة من الخدم).

وقد ندد كثير من الأدباء بهذه المأساة في حق الفن والإبداع فقال الصولي :  
لئن قطعوا يميني يديه لخوفهم لأقلامه لا للسيوف الصوارم  
فما قطعوا رأياً إذا ما أجاله رأيت الردى بين الله والغالصم

وإذا كانت السلطة الغاشمة نجحت في إخراس صوته السياسي فإنها لم تنجح في إزاحته عن عرش المجد والخلود الذي اعتلاه بفنه وخطه وذوقه؟.  
وقد خلّده الثعالبي في كلمات كخلود خطه: (خط ابن مقلة يضرب مثلاً في الحسن، لأنه أحسن خطوط الدنيا، وما رأى الراؤون، بل ما روى الراؤون مثله، في ارتفاعه عن الوصف، وجريه مجرى السحر).

وقال أبو حيان التوحيدي: (أصلحُ الخطوط، وأجمعها لأكثر الشروط، ما عليه أصحابنا في العراق فقليل له: ما تقول في خط ابن مقلة؟  
قال: ذاك نبي فيه، أفرغ الخط في يده، كما أُوحي إلى النحل في تسديس بيوته).  
ووقف على قبره ابن الرومي يبين مكانته في عالم الفكر والقلم، وأن الإبداع هو الخالد، وأن السلطان ومن دونه، والسيف وما فوقه لا يبارون القلم ولا يبلغون مداه.

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت خوفه الأمم  
فالموت، والموت لا شيء يعادله ما زال يتبع ما يجري به القلم  
كذا قضى الله للأقلام مذ بُريت أن السيوف لها مذ أرهفت خدم  
وكل صاحب سيف دائماً أبداً ما زال يتبع ما يجري به القلم

#### ب- ابن البواب

علي بن هلال أبو الحسن المعروف بابن البواب، ورث مهنة أبيه فترة من حياته، فقد كان أبوه بواباً لبني بويه على بيت القضاء في بغداد وأصبح بعد أبيه بواباً على دار فخر الملك محمد بن علي أبي غالب المتوفى سنة سبع وأربعمئة.

وأخذ عن كبار معاصريه فقد كتب على محمد بن أسد، وأخذ العربية عن ابن جني، وكان شبيبته مزوّقاً دهنًا في السقوف. ثم صار يُذهّب الختم وغيرها، وبرع في ذلك، ثم عني بالكتابة ففاق فيها الأوائل والأواخر. حتى كان في الخط من الأوائل ومن كبار خطاطي عصره، قال عنه الذهبي: (ولم يعرف الناس قدر خطه إلا بعد موته، لأنه كتب ورقة إلى كبير، يشفع فيها في مساعدة إنسان بشيء لا يساوي دينارين، وقد بسط القول فيها، فلما كان بعد موته بمدة، بيعت تلك الورقة بسبعة عشر ديناراً). وقد نسخ القرآن الكريم بيده أربعاً وستين مرة، إحداها بالخط الريحاني لا تزال محفوظة في مكتبة "لاله لي" بالقسطنطينية، ويوجد بمكتبة آيا صوفيا ديوان الشاعر العربي الجاهلي سلامة بن جندل بخط ابن البواب.

قال فيه ابن خلكان: (لم يوجد في المتقدمين ولا المتأخرين من كتب مثله، ولا قاربه، وإن كان أبو علي ابن مقلة أول من نقل هذه الطريقة من خط الكوفيين، وأبرزها في هذه الصورة، وله بذلك فضيلة سبق، وخطه أيضاً في نهاية الحسن، لكن ابن البواب هذب طريقته ونقحها وكساها طلاوة وبهجة).

توفي يوم السبت ثاني جمادى الآخرة سنة (٤٢٣هـ - ١٠٣٢م) ودفن بمقبرة باب حرب في جوار الإمام أحمد بن حنبل. ووقف على قبره الشريف المرتضى فقال:

من مثلها كنت تخشى أيها الحذرُ      والدهر إن همَّ لا يُبقي ولا يذر

رُدِّيتَ يا ابن هلال والردى عَرَضُ      لم يُحَمَّ منه على سُخْطٍ له البشر

ما ضرَّ فقدك؟ والأيام شاهدة      بأن فضلك فيه الأنجم الزُّهر

أغنيت في الأرض والأقوام كلهم      من المحاسن مالم يُغنيه المطرُ

فللقلوب التي أبهجتها حزنُ      وللعيون التي أقررتّها سهرُ

وما لعيش إذا ودَّعته أَرْجُ      ولا لليل إذا فارقتّه سَحَرُ

وما لنا بعد أن أضحت مطالعنا      مسلوبة منك أوضاع ولا غُرُ

## ج - ياقوت المستعصي

هو أبو الدر جمال الدين ياقوت المستعصي الرومي الكاتب.

كان مملوكاً فاشتراه الخليفة العباسي المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين . فنشأ ياقوت في دار الخلافة، وترعرع في بحوبة العيش الرغيد، وقد درّبه الخليفة على الخط، وفن الكتابة. وكان خطاطاً كبيراً، وعلماً من مشاهير الخطاطين العظام، كان نسياً منسياً، فرفعه جمال خطه إلى القمة، وجعله مهمازاً للفن والذوق والجمال.

وبلغ في الشهرة في جمال الخط وحسنه أن يقول الناس حين يرون خطاً جميلاً: خط ياقوتي . وقد أثنى المؤرخون على حسن خطه، وجعلوه قدوة لمن جاؤوا بعده، فقد قال ابن كثير: كان فاضلاً، مليح الخط مشهوراً بذلك، كتب ختماً حسناً، وكتب الناس عليه ببغداد . وقد كتب ياقوت عدداً من الكتب، برع في فن الخط، ونبغ في علوم المدرسة المستنصرية، حفظ لنا الذين كتبوا عنه قديماً هذه الكتب:

- (أخبار وأشعار) مطبوع.
- (أسرار الحكماء) مطبوع.
- (فقر التقطت وجمعت عن أفلاطون) مخطوط.
- (حُفَظَت قطع من كتابته في القاهرة، واسطنبول، وباريس، وبينها نسختان كاملتان للقرآن الكريم).

وتوفي ببغداد سنة (٦٩٨هـ).

## ٢ - الخطّاطات

توهم البعض أن الخط كان مقصوراً على الرجال دون النساء، حتى لمزهن بعض كبار أدباء العرب بضرورة لزوم المغزل ووذر القلم قال أبو العلاء المعري في اللزوميات:

فحمل مغازل النسوان أولى بهن من اليراع مقلماً

وكتب خير الدين الألوسي كتاب الإصابة في منع النساء من الكتابة وقال فيه:

فأما تعليم النساء القراءة والكتابة فأعوذ بالله إذ لا أرى شيئاً أضّر منه لهن، فإنهن كما كن مجبولات على الغدر كان حصولهن على هذه الملكة من أعظم وسائل الشر والفساد، وأما الكتابة فأول ما تقدر المرأة على تأليف كلام بها فإنه سيكون رسالة إلى زيد أو رقعة إلى عمرو أو بيتاً من الشعر إلى عذب، أو شيئاً آخر إلى رجل آخر. فمثل النساء والكتب كمثال شرير سفيه، تهدي إليه سيفاً أو سكير تعطيه زجاجة خمر، فالليب من الرجال من ترك زوجته في حالة من الجهل والعمى فهو أصلح لهن وأنفع<sup>(١)</sup> .

وكانت هذه نظرة كبار فلاسفة الغرب أيضاً فجان جاك روسو الفيلسوف السويسري (١٧١٢-١٧٧٨) قال : النساء على وجه العموم لا هوى لهن في فن من الفنون، ولم يعرف عنهن النبوغ في

(١) الخطاط حسن المسعود، المرأة والخط، موقع الخطاط نفسه

أحدها، وليست العبقريّة من نصيبهن، ويرى الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور (١٧٨٨ - ١٨٦٠) أن النساء "جنس غير فني" وليس غريباً هذا الكلام من رجل قاطع أمه إلى أن ماتت وكان يقول لها لن يذكرك التاريخ بشيء غير أنك كنت أم شوبنهاور

وليس منعها من الخط فقط بل كانت النظرة السائدة ولا زالت أنهن أردأ خطا في نص قديم يتحدث آشور بانيبال آخر ملك للإمبراطورية الآشورية الحديثة (٦٢٧ ق.م). يعتذر للإله في دعاء مخطوط : اعذرني لكون - الخطاة - التي كتبت هذا الدعاء أمامك هي امرأة<sup>(٢)</sup> ...

بيد أن الأجواء الحضارية التي جاء بها الدين الحنيف كانت تشجع حضور المرأة في مجال الإبداع والعلم ومنه الخط، وقد خلّد لنا التاريخ أسماء كثيرة من النساء اللاتي مارسن الخط بل وبرعن فيه .

فلنخرج على بعض الأسماء اللامعة في سماء الخط العربي :

**أ- الشفا بنت عبد الله العدوية :**

تعلمت الكتابة وأسلمت قبل الهجرة، روت اثني عشر حديثاً، قيل إسمها الحقيقي ليلي والشفا هو لقبها، اشتهرت بحسن خطها، وكان الكثير من النساء تأتين لتتعلم منها، وهي التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : (( علمي حفصة رقية النملة كما علمتها الكتابة ))، ولعل مهارتها هذه هي التي أهلتها لمنصب حسبة السوق زمن عمر بن الخطاب .

**ب- حفصة بنت الخليفة عمر بن الخطاب :**

أخذت الكتابة والخط عن الشفا بنت عبد الله العدوية .

**ج - فاطمة بنت الحسن الأقرع :**

كاتبة من أحسن الناس خطاً على طريقة ابن البواب، فقد قال السمعاني : ( كان لها خط مليح حسن )، كتبت رسالة إلى وزير السلاجقة طغرل بك فانبهر بخطها وأجازها ١٠٠٠ دينار ذهبي وهي أول جائزة في عصر السلاجقة وآخر جائزة بل وأعلاها على الإطلاق، وكتب الناس على طريقته بالكتابة، توفيت سنة ٤٨٠ هـ .

**د - القرطبية عائشة بنت أحمد :** قيل عنها لم يكن في زمانها من حرائر الاندلس من يعادلها

علماً وفهماً، وأدباً وشعراً. وكان لها مكتبة كبيرة توفيت عام ١٠٠٩م.

**هـ - فاطمة البغدادية :** اختيرت عام ١٠٨٧م لخط معاهدة الصلح بين خليفة بغداد القائم بالله

وبين ملك الروم في بيزنطة. ويقال عنها إنها كانت من أحسن الناس خطاً على طريقة ابن البواب.

**و - زمرد بنت جاولي :** أخت الملك الدقاق صاحب دمشق. استنسخت عدة كتب وشيدت

المدرسة الخاتونية. توفيت عام ١١٦١م.

<sup>(٢)</sup> موقع ويكيبيديا

ز - مزنة متوفية كاتبة حاكم الأندلس الخليفة الناصر ، ومعنى كاتبة لدى الخليفة — يعني انها بلغة اليوم رئيس الوزراء نعم وقد كانت من أشهر الخطاطين في عصرها. توفيت سنة ٣٥٨هـ<sup>(٣)</sup>

ح - شهدة الدينورية: بنت أبي نصر بن الفرّج بن عمر الأبري، الكاتبة الدينورية الأصل، بغدادية المولد والوفاة، كانت عالمة فاضلة محدثة كاتبة، تكتب جيداً، وأخذ عنها الخط العربي كثيرون منهم الخطاط ياقوت الملكي، وهو كاتب السلطان ملكشاه — وهو غير ياقوت المستعصي، توفيت سنة ٥٧٤هـ<sup>(٤)</sup>.

ومما يروى عن الخط سابقاً هذه القصة الطريفة التي حدثت في زمن الكامل أبو الفتح عام ١٢٢٦ م:

( فقد أحضرت امرأة اسمها بنت خداوري من الاسكندرية ولدت من غير يدين، فجاء بها بين يدي الوزير رضوان، فعرفته أنها تخط برجليها فأحضر لها دواة، فتناولت برجلها اليسرى قلماً فلم ترض شيئاً من الأقلام المبرية التي أحضروها فأخذت السكين وبرت لنفسها قلماً وشقته وقطته، وأخذت ورقة فأمسكتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ماتكتبه النساء بأيديهن<sup>(١)</sup>).

وكان في الربض الشرقي من قرطبة مائه وسبعون امرأة يكتبن كلهن المصاحف بخط الكوفي. فإذا كان العدد في حاضره واحدة عربية فما عدد الكاتبات في العالم الإسلامي في ذلك الوقت . بل وارتبط جمال الخط بجمالها في التاريخ العربي، فعندما أسس الخليفة المأمون — دار الحكمة — وأراد ترجمة كل كتاب معروف في العالم إلى اللغة العربية شجع ذلك مهنة الخط للرجال والنساء، وفي أحد الأيام وهو يتجول في مكتبته الكبيرة ينظر الخليفة إلى أصابع خطاطة اسمها — منصف — فتلمي عليه قريحته هذه المداعبات :

أَرَانِي مَنَحْتُ الْحُبَّ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ      فَمَا أَنْصَفْتَنِي فِي الْمَحَبَّةِ مُنْصَفُ  
سَرِيعَةٌ جَرِي الْخَطِ تَنْظُمُ لَوْلَا      وَيَنْثُرُ دُرّاً لَفْظُهَا الْمَتَرَشَفُ  
وَزَادَتْ لَدَيْنَا حُظُوةً ثَمَّ أَعْرَضَتْ      وَفِي أَصْبَعِيهَا أَسْمَرُ اللَّوْنِ أَهْيَفُ  
أَصُمُّ سَمِيعٌ سَاكِنٌ مَتَحَرِّكٌ يَنَالُ      جَسِيمَاتِ الْعُلَى وَهُوَ أَعْجَفُ<sup>(٢)</sup>  
والمقصود بأسمر اللون القصبية التي تستعمل كقلم للخط.

ووصف أحمد بن صالح جارية كاتبة فقال : كَأَنَّ خَطَهَا أَشْكَالَ صَوْرَتِهَا، وَكَأَنَّ مِدَادَهَا سَوَادُ شَعْرِهَا، وَكَأَنَّ قَرطَاسَهَا أَدِيمٌ وَجْهَهَا، وَكَأَنَّ قَلَمَهَا بَعْضُ أَنْامِلِهَا، وَكَأَنَّ بَنَانَهَا سِحْرٌ مَقْلَتَهَا، وَكَأَنَّ سِكِّينَهَا غُنْجٌ لَحْظُهَا وَكَأَنَّ مِقْطَعَهَا قَلْبٌ عَاشِقُهَا<sup>(٣)</sup> .

(٣) الخطاط حسن المسعود، المرأة والخط، موقع الخطاط نفسه

(٤) محمد خير يوسف، المؤلفات من النساء، دار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠٠، ص ٥٨

(١) محمد طاهر المكي، تاريخ الخط العربي، مكتبة الهلال، مصر، ١٩٣٩ ص ٣٠٢

وقال في ذات الكتاب : خُداوردِي : خُدا بالفارسية الله/ وردِي بالتركية أعطى.. فيصبح المعنى البنت التي أعطاه الله لنا

(٢) الخطاط حسن المسعود، مرجع سابق



### المسار الثالث : خاتمة

وبعد ؛ فما قد أناخت جمال هذه الرحلة التراثية بأعتاب عصر الرقمنة والتقنية موصية بالآتي :

- ضرورة تحويل المخطوط إلى قضية وطنية تشغل بال الإرادة السياسية، فالمخطوط لا يقل أهمية عن الآثار والرموز الثورية والوطنية، من خلال العمل على إنشاء متحف وطني يختص بالمخطوط جمعاً وحفظاً ودراسة ونشراً .
- ضرورة إعداد فهرسة كوديكولوجية لمخطوطات كل منطقة، ومن ثم التبادل بين مختلف الجهات للاطلاع والتعاون
- استنهاض همم أساتذة الجامعات بمختلف تدرجاتهم وتخصصاتهم للمساهمة في إرساخ ثقافة المقرئية والحفاظ على التراث.
- الإعداد لدورات علمية تقنية في صناعة وتحقيق المخطوط، يشرف عليها عليّة المحققين والمتخصصين بغية تكريس رؤية معاصرة للمخطوط، وكذا قطع دابر مرتزقة التراث .
- بث الوعي وسط الناس من خلال أوعية التواصل المختلفة للتعاون مع مخبر المخطوطات بالجامعة بغية الحفاظ على المخطوط، وفي سبيل ذلك لا مندوحة من تخصيص "أسبوع المخطوط العربي" يعقد كل سنة للتذكير والتنبيه، ولا بأس من تعضيد ذلك بحصة إذاعية دائمة تعمل على ذات الغرض.
- تشجيع أهل البر والإحسان على تحمل جزء من أعباء المسؤولية التاريخية إزاء الموروث الحضاري، من باب :

وقائلة أنفقت في الكتب ما حوت  
لعلّي أرى فيها كتاباً يدلني  
يمينك من مالٍ فقلت دعيني  
لأخذ كتابي آمناً بيمينني

وفي الختام يحذوني أمل كبير أن يساهم هذه الملتقى في لفت الانتباه إلى هذا المخزون الاستراتيجي للأمة الأمر الذي من شأنه أن يبصر الدارسين والباحثين وغيرهم بتاريخهم، ويعكس رؤية واضحة عن ماضيها وحاضرها ومستقبلها .  
وأخيراً..

أيها الملتقى الطيب :

هكذا هي ثلاثية الإعجاب، إبداع وإمتاع، ذوق وشوق، خط وحظ، ورق وألق...فسلام على... التي أبدعت فامتعت وسطرت فبصرت وخطت فحطت على سويداء القلوب...ولو استطعت أن أكون سطرًا في مخطوط من مخطوطاتهم لكنت..كما قال أبو تمام :

(٢) الخطاط حسن المسعود، المرجع نفسه

مداد مثلُ خافية الغراب      وقرطاس كرقراق السراب

وألَفاظ كـألَفاظ المثاني      وخط مثل وشم يد الكعاب

كُتبتُ ولو قدرت هوى وشوقاً      إليك لكنتُ سطرأً في كتاب

### مراجع البحث

(١) أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، معجم مصطلحات المخطوط العربي، الخزانة الحسنية الرباط المغرب، ط٣

(٢) أحمد شوحان، رحلة الخط العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١

(٣) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر ط٤، ٢٠٠٤

(٤) محمد خير رمضان يوسف، عجائب الفكر وذخائر العبر، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ٢٠٠٠

(٥) محمد خير رمضان يوسف، نوار الشوارد، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ١٩٩٩

(٦) محمد خير رمضان يوسف، سفينة الذهب من الثقافة والأدب، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ٢٠٠٦

(٧) محمد خير يوسف، المؤلفات من النساء، دار ابن حزم، ط٢، ٢٠٠٠

(٨) زهير علوان، قصص عجيبة ومفارقات غريبة، دار الفكر، لبنان

(٩) المعز بن باديس التميمي الصنهاجي، عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب، تحقيق نجيب مايل الهروي وعصام مكية، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، ط١، ١٤٠٩

(١٠) عابد سليمان المشوخي، أخلاقيات الوراقة، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد ٢، ٢٠٠٣

(١١) محمد علي الطنطاوي، فصول في الثقافة والأدب، دار المنارة، السعودية، ط١، ٢٠٠٧

(١٢) محمد المنوني، تاريخ الوراقة المغربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب

(١٣) عبد العزيز بن محمد المسفر، المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ، السعودية، ١٩٩٩

(١٤) عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت

(١٥) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨

(١٦) محمد طاهر المكي، تاريخ الخط العربي، مكتبة الهلال، مصر، ١٩٣٩

(١٧) المركز الوطني للتراث المخطوط، كيف نصون مخطوطاتنا، مطبعة النجاح، المغرب، ١٩٩٨

(١٨) مركز جمعة الماجد للتراث، صناعة المخطوط العربي، إدارة المطبوعات، جامعة الإمارات

(١٩) هلال ناجي، محاضرات في تحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط١، ١٩٩٤

٢٠) <http://hassan.massoudy.pagesperso-orange.fr>

٢١) <http://www.assala-dz.net/ar>

٢٢) [www.alukah.net](http://www.alukah.net)

٢٣) [alexlisdept.blogspot.com](http://alexlisdept.blogspot.com)

٢٤) [www.almarkaz.ma](http://www.almarkaz.ma)

٢٥) [ar.wikipedia.org](http://ar.wikipedia.org)